السلطة العباسية والمعارضة دراسة تاريخية في عقوبات السلطة (132- 247 هـ/ 749 - 861م)

أ.م.د. ناهضة مطير حسن ، جامعة واسط ، كلية التربية ، قسم التاريخ

ملخص البحث

في كُلَ عصر يوجد حاكم وتوجد معارضة ، وهي حالة صحية تدل في معناها العام ان البَشرْ لا يمكن ان يجتمعوا ويَقُروا شخصاً بعينه سلطانا عليهم مهما كانت مستوياتهم الثقافية والفكرية ، ومن المؤكد ان الحُكام لم تكن ردَّات فِعلهم بمستوى واحد ، في مواجهة حركات المعارضة ، فقد يتعامل الحاكم بشدة وقسوة مع حركات لا سيما تلك التي تُهددْ حُكمه ، في حين نجده يغض النظر عن اخرى .

وقد وردت في القرآن الكريم عقوبات مختلفة ينالها الكُفار والمرتدين والخارجين عن الدولة ، ومن يُهـدِد وحدتها ، او يتجاوز حدود الشريعة الإسلامية تتراوح بين الرجم والقتل او تقطيع الايدي والارجل...الخ ، وقد طُبقت بعضها بالفعل لحفظ كيان الإسلام ، لا سيما في عصر الرسول والخلفاء الراشدين لكن الانقلاب الكبير الذي حصل في الدولة الإسلامية كان بعد تولي الامويين والعباسيين . الذين ابتدعوا اساليب مختلفة في التعذيب . السلطة ، هو توسع نطاق عمل تلك العقوبات لتشمل من يَخرُجْ عن السلطة حتى وإن كان خروجه لإنصاف المظلوم وردع الظالم او للحفاظ على الكيان الإسلامي او لقول كلمة الحق بوجه من جيَّر السلطة والاموال له ولحاشيته ، وترك شعبه في الظُلمات فكان لا بد من المقاومة .

يتناول موضوع بحثنا الكيفية التي تعاملت بها السلطة مع من ناوأها حيث عُدَّ القتل ضرورة سياسية لتوطيد الحكم في تلك الظروف الاستثنائية كما نحاول الاجابة عن السؤال الذي يطرح نفسه بقوة وهو هل من حق الحاكم التنكيل بأبناء شعبه بتلك الاساليب القاسية ؟ ام الواجب يقتضي الحِكمة ومُراجعة النفس ،من اجل تحديد الاسباب التي دفعت اولئك الناس الى التمرد عليه ، وقد حددنا الفترة من 132. 247 هـ ويأتي تحديدنا لعام 247هـ وذلك لانه في هذا العام ، قُتل الخليفة المتوكل على الله بتحريض من القادة الاتراك ، اصحاب السلطة الفعلية واصبح الخلفاء العباسيين بعده هم الضحية التي تُنحَّر في الوقت الذي يرتأيه الاتراك ومن جاء بعدهم من سلطات الاحتلال .

1 . السلطة العباسية

تعني السُلْطَة في اللغة التحَكُمَ والتَمكُنَ والسَيطرة[1] وقيل انها الخلافة من الله تعالى[2] وانما لُقب الخليفة بالسلطان لانه ذو سلطان أي ذو حُجة تُقامُ به الحُجَجْ والحقوق(3)، والتسَليط هو التَغليب والقُدرة ، فيُقال سَلطهُ الله عليه ، أي جعل لهُ عليه قوة وقهرا[4] .

أعلن الخلفاء العباسيين في خطبِهم ، التي وجهوها للناس المنضوين تحت سُلطتهم ، الخطوط العامة لسياستهم ، وفيها عاهدوهم على تحقيق العدل وإنصاف المظلوم ، وذكَّروهم بأنهم آل بيت الرسول (ص) ، فسلطتهم إذن مُقدسة ، تُمثِّل سلطة الله على الارض ، لذلك عَدُّوا الخروج عليها سواء بانتِقادهم [5] او عدم الامتثال لاوامرهم [6] او حمل السلاح عليهم ، خروج عن الاسلام بالمُطلق[7] مُستشهدين بالآية القرآنية " إنما جزاءَ الذَّين يُحاربون الله ورسَولهُ وَيسعَّون في الارضِ فَسادا ان يُقتَّلوا او يُصَلَّبوا او تُقطَّع ايديهم وارجُلهَّم مِن خِلافٍ "[8] ويستحق المُخالف ، ما يرتأيه الخليفة من العقوبات فكان حُجَّاب الخليفة وحُراسه وسَيافُوه وفَارشوا النطع [9] على أهَبة الاستعداد لتنفيذ امر الخليفة . وبهذه الحُجة اوقعوا ابشع انواع التعذيب بحق مُخالفيهم [10] مُتجاوزين التعاليم الاسلامية التي وضعت حدودا او اسس معينة للعقوبات التي تعتمد الى حدٍ كبير على احترام الانسان الذي فضله الخالق جل وعلا على كل مخلوقاته [11].

ومن الملاحظ ان العقوبات العباسية شملت كل طبقات المجتمع من العلماء ورجال السلطة فضلا عن خصومهم الرئيسيين الذين ظلوا يتحينون الفرص للقضاء عليهم وهم العلويين ، وكان للخوارج والزنادقة نصيبهم من تلك العقوبات ، ولم يكن بعض أفراد الاسرة العباسية ممن نافسوا سلطة الخلفاء بعيدين عن تلك العقوبات ، فهم . أي الخلفاء . لم يحتملوا فكرة الخروج عن سلطتهم لذلك فقد اوقعوا اشد العقوبات بمخالفيهم ، حتى وإن كانوا ممن ساهم في الدعوة ، للعباسيين ، وقاتل من اجل قيام دولتهم ، وهذا امر افزع الكثيرون ممن ساهم في بناء الدولة [12]، فهذا الخليفة ابو جعفر المنصور يقول " من نازعنا هذا القميص اوطأنا أم رأسه حتى يستقيم ...وانه من نكث بيعتنا واظهر غشنا فقد اباحنا دمه " [13]، كما عملوا على تثبيط عزيمة أي شخص يفكر في التمرد فيقول عبد الله بن علي (قتل 147هـ/ 764م) عم المنصور " اعلموا ان هذا الامر فينا ليس بخارج عنا حتى نسلمه الى عيسى بن مريم "[14] .

وهم في الحقيقة عدوا الاستبداد ضروري للحفاظ على حكمهم ، حتى إن بعضهم كان يتمثل بقول الشاعر عمر بن ابي ربيعة :.

واستبَّدت مّرة واحدةً إنما العاجِز من لا يستبِدُّ[15]

فقد ضربوا بقسوة متناهية منافسيهم الامويين حتى ان الاموات في قبورهم لم تَسلمْ من العبث فيها ، والتمثيل بما تبقى من جثثهم[16] ، وفي ذلك يذكر ابن الاثير ان عبد الله بن علي قتل في يوم واحد"اثنان وتسعون الف ...وبسط عليهم الانطاع ومد عليهم سماطا فأكل وهم يختلجون تحته " [17]، ثم امتد هذا الامر ليشمل كُل من يرتَابون بأمره ، ويتمثل ذلك في رسائلهم التي وجههوها لقادتهم وهي تحمل عبارات تأمر بالقتل منها "من اتهمته فأُقتُله" [18] و" أُقتل بالظنة ...وارفع الرحمة " [19]، لذلك فقد ذهب الكثير من الناس بالتهمة والوشاية وفي ذلك يقول شريك بن شيخ المهري احد الخارجين على السلطة العباسية في بخارى " ما على هذا بايعنا آل محمد على سفك الدماء وقتل الأنفُس "[20] لكثرة من قُتل ، والتي بلغت على يد عبد الرحمن بن مسلم ابو مسلم الخراساني (قُتل 137هـ/754م) ستمائة الف[21] في حين وصل

بهم القائد معن بـن زائدة الشيباني (قُتل 152هـ / 769م) الى " أربعة آلاف مصلي "[22] ، ولنَقس على ذلك اعداد الناس الذين قُتلوا طيلة هذه السنوات .

ولم تَكُّن النساء بعيدات عن تلك العقوبات ، يذكر ابن كثير "ان الخليفة الامين لم يعجبه غناء احدى المغنيات فضرب رأسها بالكأس وامر بالقهرمانة التي جاءت بها ان تلقى الى الاسد فأكلها "[23] .

وقد اثارت هذه العقوبات انتقادات رجال البيت العباسي ومنهم عبد الصمد بن علي (ت 185هـ/ 801م) عم الخليفة المنصور بقوله " لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو " [24].

كما مُنح بعض الوزاء والقادة . الذين كانوا في اغلب الاحيان هدفا للعقوبات التي ينزلها الخلفاء بهم كما سنذكر لاحقا . لا سيما في اوقات الحروب والازمات سلطات كبيرة في فرض وتنفيذ العقوبات بحق مناوئي السلطة تحديدا ، فقد امر القائد خازم بن خزيمة التميمي بضرب اعناق جماعة من بني عبد الدار عام (134 هـ / 751م) لانهم رفضوا طلبه في نصرة الخليفة السفاح[25] .

ان الظروف التي ولدت بها الدولة العباسية كانت عصيبة جدا لا سيما وان هناك الكثير من القوى والحركات الاجتماعية والدينية السياسية التي ظهرت وطرحت برامجها مستهدفة في اغلب الاحيان تغيير النظام الحاكم ، لذلك لا نستغرب تعاملهم بقوة وحزم حتى قال بعضهم " سلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها "[26] لكن تماديهم في التفنن والتعذيب مع من لا يسير ومذهبهم السياسي ، هو ما دفعنا للدراسة محاولين ان نرصد كيف تعاملت مع معارضيها ، مع الاخذ بنظر الاعتبار ان ما نتحدث عنه من العقوبات لا يعني ان السلطة العباسية كانت دائما متزمتة في احكامها ، فقد ابدى بعض الخلفاء تعاطفهم مع المتهمين ممن يثيرون انتباههم ببلاغتهم[27] او لتوسط احد المتنفذين لديهم [28].

وإن كان لا بد من القول ، إن التحديات الكبيرة التي واجهتها السلطة لا سيما من تلك الحركات ، التي شكل خروجها تهديدا للسلطة والمجتمع بأسره ومحاولة احتواء ما يمكن تسميته الانتقاد الشعبي لتولي العباسيين السلطة ، وهذا ما اعترف به الخليفة المنصور بقوله"نحن بين قوم قد رأونا امس سُوقَة واليوم خلفاء ، فليس تتمهد هيبتنا في صدورهم إلا بنسيان العفو واستعمال العقوبة "[29]، وهم بذلك برروا قسوتهم مع مواطني دولتهم .

ولا شك في ان اغلب العلماء كانوا معارضين لسياسات السلطة الدينية والاجتماعية والاقتصادية ، فطاردتهم ، وفرضت عليهم عقوبات كثيرة تناولها الكثير من الباحثين لذلك سوف نتجاوز عن ذكرها لانها اشُبعت بحثا ودراسة ويعد الحديث فيها ضربا من التكرار المُمل [30].

شملت عقوبات السلطة مختلف فئات الشعب فالكل سواسية في نظر السلطة اذا ما عارضوها سواء اكانوا من الاسرة العباسية ام من اتباعها ...الخ وهذا ما سنتناوله في النقاط الآتية .

2 . العقوبات التي نالها بعض رجال الاسرة العباسية

طبقت السلطة عقوباتها حتى على افراد من البيت العباسي ، من الذين حدثتهم انفسهم بالحكم او ممن ثاروا فعلا وطالبوا بحقوقهم ، التي قد تكون مشروعة الى حد ما ، لذلك وضعتهم السلطة في صف اعدائها .

ومن الملاحظ ان العقوبات التي فرضتها السلطة العباسية على افرادها الخارجين عن إرادتها كانت اخف وطأة من تلك التي شملت الجماعات المعارضة الاخرى كما سنذكر لاحقا فهي وإن شملت السجن او التهديد او اللعن او التجويع . وهي حالات فردية . ثم الموت [31] الا ان حجم التعذيب كان اقل ، إذ لا تقطيع ولا تعليق جثث ولا حز رؤوس ، وهم . أي الخلفاء . كانوا مضطرين لمواجهة المخالفين منهم لان في تركهم تهديد لمكانتهم ووحدة الاسرة العباسية التي حاولت قدر الامكان الحفاظ على المنجزات التي حققها شيوخ البيت العباسي ، فتذكر الروايات ان ابن عائشة ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم الامام (ت 210هـ / 825م) اول عباسي صُلب في الاسلام[32] .

ويمكن القول ان هذه العقوبات تبقى مرتبطة من جهة بشخصية الخليفة وقدرته على مسامحة من نافسه على حكمه من ابناء البيت العباسي ، فقد عفا الخليفة المأمون عن ابراهيم بن المهدي (ت 224هـ/ 838م) الذي تم تنصيبه خليفة للعباسيين بدلا عنه [33] في حين قتل الخليفة المعتصم حتى من اغضبه، فكيف بمن نافسه على السلطة [34].

ومن جهة اخرى قدرة المنافسين وقوة تأثيرهم على الرأي العام ، لا سيما هؤلاء الذين يتمتعون بنفوذ قوي عند الجيش وقياداته فقد امر الخليفة المنصور بقتل عمه عبد الله بن علي بن عبد الله لانه هدده بالعصيان . معتمدا على مبايعة الجيش وبعض القادة الذين كانوا تحت إمرته . [35]، كما قتل الخليفة المعتصم ابن اخيه العباس بن المأمون عام (223 هـ / 837م) . الذي بابعه قادة الجيش وجماعة من خَوَّاص المعتصم . وذلك بمنعه عن الماء كما حبس اخوته حتى ماتوا [36].

ويظهر من خلال الجدول المرفق ادناه [37] ان سبعة من ابناء الاسرة العباسية اتهموا بالتآمر لقلب نظام الحكم في حين اتهم واحد منهم فقط بالزندقة .

3 . العقوبات التي نالها بعض رجال السلطة

أوقعت السُلطة العباسية أقسى العقوبات على رجالها ممن تآمروا عليها فعلا[38] او حدثتهم أنفسهم بالانقلاب عليها [39]، او حتى مِمن شكَّوا في امرهم [40]، وهم يهدفون من وراء ذلك الى ان يجعلوهم عِبرةً لمن يُفكر في العصيان والخروج عن ارادة السلطة ، فالخليفة ابو جعفر المنصور كان يحُثُّ رجاله على قتل عبد الرحمن بن مسلم ابو مسلم الخراساني(قُتل137هـ/ 754م) بقوله " ويحكم اضربوهُ قطع الله ايديكم "[41] في حين بأمر الخليفة هارون الرشيد بِحزِ رأس جعفر بن يحيى البرمكي (قُتل 187هـ/ 802م) " وقطعَ بدنه الى قطعتين تُنصبْ كل قطعة على جسر "[42].

يبدو ان اكثر المُخالفين . من رجال السلطة . تعذيبا هم المقربين جدا من الخليفة ، الذين كانوا يَعرِفون خفايا الخلفاء ، ومواضع الضُعف والقوة في سُلطتهم وهذا ما يُفسر الحرص الكبير الذي يظهرهُ الخلفاء عندما يختارون وزرائِهم وحُجابِهم وقادتِهم [43].

وكان للوشاية دورُها الكبير في ايقاع الكثيرين سواءً الوزراء [44] ام القادة [45] بتُهمة التآمر ظلما ، وفي الفترة موضوع البحث ، سجلنا نكبة سبعةً من الوزراء ، إثنان منهم ذهبوا بوشاية ، ومنهم الوزير ابو ايوب المورياني (قُتل 154هـ/ 770م) بوشاية كاتبه [46] وكذلك الوزير ابو عبيد الله بن معاوية بن عبد الله (قُتل 161هـ/ 777م) بوشاية حاجب الخليفة[47] ، في حين ان الباقين اثبتتْ عليهم التُّهم ومنهم الوزير أبي سلمة حفص بن سليمان الخلال(قُتل 132هـ/ 749م) الذي اراد تحويل الدعوة الى العلويين [48] ، كما انتقد الوزير يعقوب بن داود بن طهمان (قُتل 181 هـ/797م) السلطة ومال الى العلويين [49]، في حين أسأت السلطات الكبيرة التي منحها الخليفة الرشيد للوزير يحيى بن خالد البرمكي(ت 191هـ/ 806م) وولديه ، لمكانته وشخصيته [50] ، وذهب الوزير الفضل بن سهل (قُتل 202هـ/ 817م) ضحية لإخفاء اخبار الثورات في العراق عن الخليفة المأمون [51] ، في حين كانت تهمة الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات (قُتل 233هـ/ 837م) هي تحريض الخليفة الواثق على اخيه المتوكل ومحاولته نقل السلطة بعد موته الى ابنه محمد[52] .

كما شملت العقوبات الشديدة ايضا سبعة من قادة الجيش[53] الذين ذهب بعضهم بوشاية ايضا [54] ، وثلاثة من الولاة [55] فضلا عن موظفي الدولة الاخرى [56].

ومن اللافت للانتباه ، تنوع العقوبات بين التشهير كأن يُحمل المُتهم على بعير بغير وطاء ولا غطاء [57] ثم التعذيب الذي اختَلف حسب ما يرتأيه الخليفة بين السجن في سجن المطبق[58] او الجوسق[59] او حمل الحديد في الاعناق[60] او التقطيع قطعا قطعا ورميها في دجلة[61] وهناك من ضُرب وجُلد بين المائة[62] والاربعمائة وخمسين سوطا[63] او ان يُداس في البطن ويُضرب على الانف حتى الموت[64] او حزَّ الرأس[65] او ان يُحفر له بئر ثم يُطُّم عليه[66] او ان يُحرق ويُذري رماده[67] او يعطى له الاكل بعد جوع شديد[68]،الا ان اغربها تلك التي يُنَّزل فيها المُتهم في"بئر يتدلى به "[69] بين الحياة والموت ، وكذلك السجن الذي بُني خصيصا داخل الجوسق وكان "مرتفعا شبيها بالمنارة ، جُعل في وسطها قدر مجلس . المُتهم . وكان الرجال ينوبون تحتها كما يدور" [70] فضلا عن التعذيب بالتنور الذي صُنع من الخشب "وفيه مسامير قائمة في اسفله يقف عليها . المتهم . ويُمنع من القعود والرقاد " حتى الموت [71].

كما شملت العقوبات تقطيع أيدي وأرجل أبناؤهم وأبناء إخوتهم وضرب أعناقهم [72] أو إلصاق تُهمة معينة بهم كالزندقة مثلا [73] وهي تُهمة جاهزة طبقتها السلطة ضد الكثير من مناوئيها لا سيما العلماء ، وهناك من صَلبوه بجانب بابك الخرمي [74] احد ابرز الزنادقة كما سنذكره لاحقا ، والقصد من وراء ذلك الإيحاء للناس ان مناوأة السلطة كالزندقة تماما ، ووصل الامر الى مُصادرة اموالهم وخزائنهم واثاثهم [75]

وهم بذلك سعوا الى خلق حالة خوف متأصل في نفوس الناس ، وتحديدا المُقربين منهم ، الامر الذي يجعلهم يتريثون كثيرا ، قبل مجرد التفكير في الخروج عن السلطة .

4 . العقوبات التي طالت العلويين

لم تتوانى السلطة العباسية عن انزال اقصى العقوبات بمنافسيها العلويين فهم لاحقوهم سواء تمردوا على السلطة[76] ام اعتكفوا في بيوتهم[77] وشمل هذا الامر مؤيديهم ايضا[78] .

يبدو ان الخلفاء العباسيين الاوائل كانوا مصرين على تصفيتهم لا سيما وانهم كانوا يتمتعون بنفوذ قوي ومؤثر في القاعدة الجماهيرية التي تلقت خبر مبايعة بني هاشم ومن بينهم الخليفة المنصور نفسه . في اجتماعهم الذي عقد عند اضطراب الدولة الاموية . لمحمد بن عبد الله بن الحسن ذي النفس الزكية (قتل 145هـ/762م)[79] الذي قدمه والده للناس كونه " المهدي الذي بُشر به " [80] بالقبول ، ولا شك في ان هذا الامر يحمل في طياته تهديدات جدية للسلطة العباسية من جوانب مختلفة الدينية والسياسية والاجتماعية ، والتي استوجبت وفقا لوجهة نظرهم تلك القسوة ، ولم تستثن احدا منهم حتى اولئك الذين لم يخرجوا عليها اخذتهم ، وتخلصت منهم [81].

في الحقيقة ان الخوف منهم كان هاجس شغل اذهان كل الخلفاء العباسيين ، وهذا ما يفسر الحجج الواهية التي اخذتهم بها [82]، واغربها الحجة التي قتل بها علي بن الحسين بن علي (في عهد الهادي) وهي زواجه من ارملة الخليفة المهدي[83] ، وايضا تلك القسوة التي طبقتها عليهم ، وتشمل عقوبات مختلفة منها تعمد اذلالهم وإهانتهم امام الناس من جهة ، فقد اخذ الخليفة المنصور اولاد عبد الله بن الحسن عام (144هـ/ 761م) "والقيود والسلاسل في ارجلهم واعناقهم وجعلهم في محامل بغير وطاء " (84) ويبدو ان هذا الامر قد أثر في نفسه مما دفعه الى القول " ما هكذا فعلنا بأسرائكم يوم بدر "(85)

ومن جهة اخرى تفننوا في تعذيبهم ما بين الضرب بالسوط بين المائة (86) والخمسمائة (87) ووصلت الى الالف سوط (88)او بالمقارع (89) او السجن حتى الموت(90) او دس السم(91) او الضرب بعمود من حديد(92) وهذه اغلبها تنتهي بحز الرؤوس(93) ، لا سيما اولئك الذين واجهوا السلطة بثوراتهم مثل ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن في المدينة(94) واخوه ابراهيم بن عبد الله بن الحسن (قتل 145هـ/ 762م) في البصرة (95)والحسين بن علي بن الحسن بن الحسن (قتل 169هـ/785م) في المدينة (96) ، ويظهر من خلال الروايات انهم ابتكروا طرق جديدة في القتل منها بناء اسطوانة على الشخص وهو حي (97) او جمع قتلى الطالبيين من نساء واطفال ورجال في أزج (98) كبير وفي آذانهم رقاع كتب فيها انسابهم(99) ، ووصل الامر عند احد الخلفاء الى محو قبورهم ودرسها حيث اقدم الخليفة المتوكل على " كرب قبر الحسين وعفى آثاره "[100]

إزاء تلك القسوة المتناهية فقد اضطر الكثير من العلويين الى الهجرة بعيدا عن مركز الخلافة[101] مثل ادريس بن عبد الله بن الحسن (قتل 170هـ/786م) الذي اسس امارة له ولابنائه من بعده في المغرب الاقصى [102] كما اجتمع الناس في بلاد الديلم حول يحيى بن عبد الله بن الحسن (قتل 176هـ/ 792م)

وبايعوه الا ان الخليفة الرشيد ، احتال عليه ، وتمكن منه [103] كما بايع الناس محمد بن القاسم بن عمر بن علي (قتل 219هـ/834م) في مناطق من خراسان كمرو وسرخس والطالقان الا ان عامل خراسان من قبل الخليفة المعتصم تمكن من القبض عليه وارساله الى سامراء[104] .

على الرغم من اصرار الخلفاء العباسيين القوي على كسر شوكة العلويين الا انهم استمروا في معارضتهم للسلطة [105] الامر الذي دفع الخليفة المأمون الى تنصيب علي بن موسى الرضا عام (201هـ/ 816م) وليا للعهد [106] لمحاولة احتواء آثار ثوراتهم التي تفجرت في العراق والحجاز واليمن [107] .

5 . العقوبات التي طالت خارجين عن السلطة من افراد الشعب

ضَربتْ السُلطة بقوةٍ كل من خَرجَ عليها من افراد الشعب ، سواءً أكان يحمل فكراً مخالفاً لها ، لا سيما مُثيري الفتن ، فقد تم أسر أبو حرب المُبرقع اليماني الذي ادعى انه السفياني المنتظر ، وحُمِلَ الى سامراء حيث قُتل عام(227هـ/ 841م) [108]، كما ضُرِبَ عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم وهو من اعيان اهل بغداد ، الف سوط حتى مات عام (241هـ/ 855م) ، لانه كان يَشِتمْ الصحابة [109] ، أم كان خروجه لاستِعادة حق يراه مغتصبا ، فعندما طالب أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بالخلافة ، قُتِلَ عام(132هـ/ 749م) وأُرسِل رأسه الى ابي العباس السفاح كما أُخِذَ أبنيه أسيران [110] ، وحتى الذين واجهوا ولاتها ، ممن عُرِفَ بعضهم بسوء السيرة والظلم ، وكان لهم دور كبير في مُتابعة المُتمردين ، وتطبيق العقوبات عليهم ، فقد فَرضَ نائب البصرة من قِبل الخليفة المنصور ، عقوبة صارمة بحق عبد الله بن المقفع (قُتل 145هـ/ 762م) لغضب الخليفة عليه "حيث جُعِلَ يُقطعه إربا إربا ويلقيه في تنور أُحمي له ، وهو ينظر الى اطرافه كيف تُقطع ثم تُحرق" [111].

وقد تدفع شراسة المُتمردين ، وقوة تصديهم للسلطة ، التي تَعْجَزْ احيانا عن المواجهة ، حُضور الخليفة بنفسه ، لقِتالِهم وتنفيذ العقوبات بِحقِهم ، فعندما أُسر بشير بن الليث عام (193هـ/ 808م) . وهو اخو رافع بن الليث ، الذي تمرد على السلطة في سمرقند . أمر الرشيد بإحضار القصاب ، وجزأه بين يديه ، اربعة عشر عضوا .[112]

او قد تُعاقِب المدينة بأسِرها ، على تَمرُدِها ، ، فقد عُوقب اهل حمص عام (194هـ/ 809م) بسبب تمردهم على واليهم ، الذي تم تغييره بناءً على رغبتهم ، بقَتل عدد من وجوههِم وحبس عدد آخر وألقُى النار في نواحيها[113] وعوقبوا مرة اخرى عام (241هـ/ 855م) حيث ضُربَ ثلاثة منهم بالسوط ،وأُخذ عشرون منهم ، ضُرب كل واحد منهم ثلاثمائة سوط وأُرسلوا مُقيدين الى سامراء [114] ، كما عوقب اهل قم عام (210هـ/825م) على تمردهم على الخليفة الذي رفض مطلبهم بإسقاط شيئا من خَراجِهم ، بهدمِ سور مدينتهم ، ورفع خَراجِها من الفي الف درهم الى سبعة آلاف الف درهم [115].

كما شملت العقوبات ، القبائل التي خرجت عن السلطة فعلا ، مثل القبائل اليمانية والقيسية عام (214هـ/ 829م)[116] وبنو سليم عام (230هـ/ 844م)[117] وبنو نمير عام (232 هـ/846م) [118] ، حيث تركزت عقوبات هؤلاء بين سجن ، وقَتِلْ زعمائهم ، وذلك بضرب أعناقهم [119] .

فضلا عن ذلك فقد عاقبت السلطة جماعات اخرى ومنهم الزط ، الذين تحدوها بعمليات السلب والنهب ، كما سيطروا على الطريق بين بغداد والبصرة ، حيث قتلوا الكثير منهم ، وطرد الباقي [120] الى عيَنُ زَرْبَى[121].

6 . العقوبات التي نالها الخوارج والزنادقة

رفعت الدولة العباسية شعار الدين للوصول الى الحكم كما ذكرنا اعلاه ، وكان عليها مواجهة كل الحركات التي تهدد العقيدة الاسلامية ، والتي كانت تطرح ايضا رؤى وافكار لتغيير السلطة الحاكمة .

ومن ابرز الحركات الاسلامية التي استمرت في غلوها وتطرفها . لا سيما في مسألة شرعية الخلافة . وثوراتها ،الخوارج [122] الذين كُسِرت شوكتهم في العصر الاموي ، ثم الزنادقة ، الذين لم تلاحقهم السلطة في بداية الامر ، وتركتهم يقولون بإلوهية المنصور واشياء اخرى ، كونهم لم يهددوها [123] ، وفي ذلك يقول ابو جعفر المنصور "يدخلهم الله النار في طاعتنا .. احب لي من ان يدخلهم الجنة بمعصيتنا "[124] لكن الامر تغير فيما بعد عندما اردوا قتله [125] ،فكانت تلك الحادثة بداية لانقلاب اغلب الفرس على السلطة ، ومما زاد في الامر قَتِلْ ابو مسلم الخراساني ، لذلك فقد شهدت هذه المرحلة ، ظهور العديد من حركات الزنادقة التي كانت تهدف بالدرجة الاولى الى التغيير السياسي والثقافي والديني [126].

ما يهمنا في هذا الموضوع ، هو هل اختلفت العقوبات التي فرضتها السلطة على هؤلاء ، ام انها طبقت عدالتها في فرض العقوبات ، فالكل سواسية فيها ، بمن فيهم رجال الاسرة العباسية والسلطة والعلويين من جهة والخوارج والزنادقة من جهة اخرى ، ما داموا هددوا سلطتها .

ويظهر من خلال الجدول المرفق ادناه الذي ذكرنا فيه اهم حركات الخوارج والزنادقة [127] العقوبات التي طبقتها السلطة على هؤلاء ، وهي تتراوح بين التشهير [128] ثم السجن [129] وحز الرؤوس [130] وتقطيع ايدي وارجل بعضهم [131] . وهي لا تختلف كثيرا عن ما ذكرناه اعلاه . وإن حظيت هذه العقوبات بِسِمة التأييد الشعبي أي ان الناس قد دعمت السلطة وشجعتها على انزال اقصى العقوبات بهؤلاء [132] إذ لم تتم مفاوضتهم للتخلي عن تمردهم ، بل كان يتم تهيئة القوة التي تردعهم بسرعة ، وتطبق عقوباتهم في ساحة المواجهة[133] ، والتي اشتملت ايضا على عقوبة سبي نساء وذراري الزنادقة [134] .

يمكننا القول ان السلطة في كل زمان ومكان ، وبمختلف صورها لا تستسيغ معارضتها ، او حتى في كثير من الاحيان توجيه الانتقاد لسلطانها ، لذلك اوقعت عقوبات مختلفة بحق من يجرؤ على ذلك ، يتساوى فيها المسلم الملتزم بعقيدة الاسلام مع المرتد والكافر ، ومن الطبيعي ان تعتمد شدة وشراسة هذه العقوبات على قوة وتأثير تلك الشخصيات المعارضة ، وقدرتها على تحريك الرأي العام

المصادر والهوامش

1. الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق مجموعة من المحققين (دار الهداية ، بلا) ج19 / ص374 ؛ ابراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، تحقيق مجمع اللغة العربية (القاهرة ، بلا) ج1 / ص443

2 . الجذبتي ، محمود بن اسماعيل بن ابراهيم ، الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والامراء (مكتبة نزار الباز ، الرياض ، 1996) ج1 / ص152

3 . الزبيدي ، تاج العروس ،ج19 / ص377 .

4 . م . ن

5 . المسعودي ، علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط1 (دار القلم ، بيروت ، 1989) مج3 / ص276 ؛ ابن كثير ، ابي الفداء ، البداية والنهاية ، ط2 (دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2005) ج10 / ص328

6 . ابن كثير ، البداية ، ج10 /ص178

7 . اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر ، تاريهخ ، ط1 (المكتبة الحيدرية ، قم ، 1425هـ) ج2 / ص350 ؛ الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الامم والملوك ، ط1 (الاميرة للطباعة والنشر ، بيروت ، 2005) ج5 / ص141

8 . سورة المائدة ، آية 33

9 . النَّطع هو بساط من الجلد كثيرا ما كان يقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل . الزبيدي ، تاج العروس ، ج22 / ص261 ينظر كذلك ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم الكامل في التاريخ ،ط7 (دار صادر ، بيروت ، 2005) ج6 / ص102

10 . ينظر الدوري ، عبد العزيز ، العصر العباسي الاول ،ط1 (دار الطليعة ، بيروت ، 1945) ص56 ؛ فاروق عمر فوزي ، العباسيون الاوائل (بيروت ،1970) ج1 / ص173 ؛ عادل محيي الدين الآلوسي ، الرأي العام في القرن الثالث الهجري ، ط1 (دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1987) ص199 .

11 . ينظر آدم متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمه محمد عبد الهادي ، ط3 (لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، 1957) ج2 / ص186 ؛ هاشم يحيى الملاح ، حكومة الرسول (مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 2002) ص46

12 . الدوري ، العصر العباسي ، ص38

13 . المسعودي ، مروج ، مج3 / ص276 ؛ ابن كثير ،البداية ، ج10 / ص73

14 . الطبري ، تاريخ ، ج5 / ص142 ؛ ابن كثير ، البداية ،ج10 / ص43

15 . الاصفهاني ، الحسين بن محمد بن المفضل ، محاضرات الادباء ومحاورات البلغاء ، تحقيق عمر الطباع (دار القلم ،بيروت ، 1999) ،ج1 / ص47 ؛ ابن كثير ، البداية ، ج10 / ص321

16 . ابن الاثير ، الكامل ، ج5 / ص430

17 . اليعقوبي ، تاريخ ، ج2/ ص355 ؛ ابن كثير ، البداية ، ج10 / ص147

18 . الطبري ، تاريخ ، ج5 / ص155

19 . ابن كثير ، البداية ، ج10 / ص71

20 . ابن الاثير ، الكامل ، ج5 / ص448 ؛ ابن كثير ، البداية ، ج10 / ص58

21 . الطبري ، م . ن ج5 / ص476

22 . ابن كثير ، البداية ، ج10 / ص160
23 . ابن كثير ، البداية ، ج10 / ص256
24 . السيوطي ، جلال الدين ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق الشيخ قاسم الشماعي والشيخ محمد العثماني (دار الارقم بن ابي الارقم ، بيروت ، بلا) ص211
25 . ابن كثير ، البداية ، ج10 / ص59
26 . ابن قتيبة الدينوري ، عبد الله بن مسلم ، عيون الاخبار ،ط1 (دار الفكر ، بيروت ، 2002) ص15
27 . الطبري ، تاريخ ، ج5 / ص297 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج7 / ص39
28 . ابن الاثير ، الكامل ، ج6 / ص34
29 . السيوطي ، تاريخ ، ص211
30 . ينظر الآلوسي ، الرأي العام ، ص190
31 . ينظر الجدول رقم 1 / ص
32 . جدول 1 / ترجمة رقم 6
33 . جدول 1 / ترجمة رقم 8
34 . ابن كثير ، البداية ، ج10 / ص314
35 . ابن الاثير ، الكامل ، ج5 / ص464
36 . م . ن ، ج6 / ص489
37 . 1 / ص
38 . ينظر جدول 2 / التراجم 9 ، 21 ، 26
39 . جدول 2 / الترجم 10 ، 11 ، 13 ، 23 ، 24 ، 25
40 . جدول 2 / التراجم 12 ، 14 ، 16
41 . الطبري ، تاريخ ، ج5 / ص178
42 . ابن الاثير ، الكامل، ج6 / ص178
43 . اليوزبكي ، توفيق سلطان ، دراسات في النظم العربية الاسلامية ،ط2 (امعة الموصل ، 1979) ص107
44 . جدول 2 / التراجم 12 ، 14
45 . م . ن / الترجمة 19
46 . م . ن / التراجم 12 ، 14
47 . م . ن / الترجمة 14
48 . م . ن / الترجمة 9
49 . م . ن ، الترجمة 15
50 . م . ن ، الترجمة 16 ، 17
51 . م . ن ، الترجمة 20
52 . م . ن الترجمة 30
53. م . ن ، التراجم 10 ، 19 ، 23 ، 24 ، 25 ،27 ، 31
54 . م . ن ، الترجمة 19

55 . م . ن التراجم 11، 18 ، 26
56. م . ن ، التراجم 13 ، 21 ، 22 ، 28
57 . م . ن ، ترجمة 18
58 . م . ن ، التراجم 15 ، 21
59 . م . ن ، ترجمة 27
60 . م . ن ، ترجمة 31
61 . م . ن ، ترجمة 17
62 . م . ن ، ترجمة 31
63 . م . ن ، ترجمة 26
64. م . ن ، ترجمة 19
65 . م . ن ، التراجم 11 ، 17 ، 23
66. م . ن ، ترجمة 24
67 . م . ن ، ترجمة 27
68 . م . ن ، التراجم 25 ، 26
69 . م . ن ، ترجمة 15
70 . م . ن ، ترجمة 27
71 . م . ن ، ترجمة 30
72 . م . ن ، ترجمة 12
73 . م . ن ، ترجمة 14
74 . م . ن ، ترجمة 26
75 م . ن ، ترجمة 18
76 . جدول 3 / التراجم 35 ، 36 ، 39 ، 43 ، 44 ، 53 ، 56
77 . م . ن ، التراجم 40 ، 41 ، 48
78 . م . ن ، ترجمة 53
79. ابن الاثير ، الكامل ، ج5 / ص513
80 . الدوري ، العصر العباسي ، ص112
81 . جدول 3 ، التراجم 42 ، 57
82 . م . ن ، ترجمة 42
83 . م . ن ، ترجمة 33
84 . المسعودي ، مروج ، ج3 /ص281 ؛ ابن كثير ، البداية ، ج10 /ص85
85 . جدول 3 ترجمة 32
86 . م . ن ، ترجمة 42
87 . المسعودي ، مروج ، ج3/ ص281

88. المقرعة : السوط الذي تضرب به الدابة وقيل هي خشبة تضرب بها البغال والحمير والجمع مقارع ينظر الزبيدي ، تاج العروس ، ج21 / ص546 كذلك ينظر جدول 3 ، ترجمة 58

89 . جدول 3 ، التراجم 38 ، 39 ، 40 ، 41 ،47 ، 48 ، 50 ، 51 ، 52 ، 54 ، 55 ، 56 ، 57 ، 58 ، 59

90 . م . ن ، التراجم 45 ، 46

91 . م . ن ، ترجمة 51

92 . م . ن ، التراجم 32 ، 35 ، 36 ، 44

93 . م . ن ، ترجمة 35

94 . م . ن ، ترجمة 36

95 . م . ن ، ترجمة 43

96 . م . ن ، ترجمة 34

97 . م . ن ، ترجمة 34

98 . ابن كثير ، البداية ، ج10 / ص445

99 . ابن كثير ، م . ن ، ج10 / ص335

100. المسعودي ، مروج ، ج3 / ص279

101. جدول 3 ، ترجمة 46

102 . م . ن ، ترجمة 47

103. م . ن ، ترجمة 56

104 . ابن الاثير ، الكامل ، ج6 / ص310

105 . جدول 3 ، ترجمة 54

106 . الدوري ، العصر العباسي ، ص159

107 . جدول 4 ، ترجمة 70

108 . م . ن ، ترجمة 75

109 . م . ن ، ترجمة 60

110 . م . ن ، ترمة 61

111. م . ن ،ترجمة 63

112. م . ن ،ترجمة 62

113. م . ن ،ترجمة 64

114 . م . ن ،ترجمة 74

115 . م . ن ،ترجمة 66

116 . م . ن ،ترجمة 67

117 . م . ن ،ترجمة 71

118 . م . ن ،ترجمة 72

119 . م . ن ، التراجم 67 ،71 ، 72 ، 74

120 . م . ن ،ترجمة 69

121. بلد بالثغر من نواحي المصيصة ، ينظر ياقوت الحموي،ابي عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، قدم لها : محمد عبد الرحمن المرعشلي (دار احياء التراث العربي ، بيروت ، بلا) مج3 / ص370 .

122 . الدوري ، العصر ، ص112 ؛ اليوزبكي ، دراسات ، ص81

123 . الطبري ، تاريخ ،ج5 / ص184

124 . م . ن ، ج5 /ص185

125 . م . ن ، ج5 / ص184

126 . الدوري ، العصر ، ص88

127 . جدول 5 ، ص

128 . م . ن ، التراجم 76 ، 88

129 . م . ن ، التراجم 81 ، 83

130 . م . ن ، التراجم 76 ، 79 ، 88

131 . م . ن ، التراجم 76 ، 88

132 . الدوري ، العصر ، ص90

133 . جدول 5 ، التراجم 77 ،78 ، 79 ، 80

134 . م . ن ، التراجم 80 ، 87